الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللغة والأدب العربي

دلائلية الفضاء في رواية "مملكة الفراشة" لواسيني الأعرج

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:
- نور الهدى بتيت
- فايزة يزيد

إشراف:
د/مصطفى ولد يوسف

لجنة المناقشة

1-..... رئيسا
2- د/مصطفى ولد يوسف مشرفا ومقررا
3-..... عضوا ممتحنا

السنة الجامعية
2015-2014

شكر وعرفان

إنّ الشّكر للّه وحده على توفيقنا في إنجاز هذا العمل، ثمّ للأستاذ المشرف مصطفى ولد يوسف الذّي أحاطنا برعاية فكرية قيّمة و كذا سماحة رؤيته لتصوراتنا، كما نتقدّم إليه بكلّ الامتنان لما منحنا من وقته القيّم و لما رافقنا به من نصائح و توجيهاته ،آملين في ذلك أن نكون قد وفقنا و لو في جزء بسيط و هي دعوة أخرى للمشاركة في إضافة ما غفل عنه هذا العمل من دراسات.

مقدمة.

تعتبر الرواية جنسا أدبيا معبرا عن المجتمع بامتياز . فهي تعبر دائما من خلال البناء الدرامي أو الكوميدي لها عن المجتمعات وما يطرأ عليها من تحولا ت وما يخلقه ذلك من نتائج،وبين هذا وذاك تسعى دائما لحمل رسالة سامية .

ومن طبيعة الرواية أن أساسها ينبني على عدة مكونات تشكلها وتكملها رغم ذلك الاختلاف الكائن في بنيتها ومحاولة البحث عن نظرية تضبطها، يبقى المد والجزر حول هذا الخطاب السردي الذي أراد أن يجمع العديد من الأجناس الأدبية تحت رايته،ومن أهم المكونات التي ترتكز عليها الرواية الزمان والمكان فهما مكونان لا تقوم الرواية إلا بهما، وقد تهافت الكثير من الباحثين لدراسة هذين المكونين بإسهاب ولكن في المقابل نجد مكونا هاما تقوم عليه الرواية مهملا ومهمشا ألا وهو" المكون الفضائي" رغم الإنتاج الروائي العربي ،وذلك راجع لعدم وضوحه وضعف المنجز النقدي اتجاهه خاصة في دراساتنا العربية النقدية ،حتى وإن وجدت فإنها لا ترقى لأن تحيط بهذا المكون السردي .

وهو دافع من الدوافع الأساسية التي قادتنا للبحث في خبايا هذا الموضوع وكيف يتجلى مكون الفضاء في الرواية،محاولين أن شرح هذا المصطلح واعين ومدركين لماهيته وصفاته، وكيفية تموضعه في الرواية ونزيل بذلك لوا لقليل من الغموض الذي يعتريه .

وقد كان نموذجنا للبحث في هذا المصطلح رواية جزائرية لقيت الكثير من القبول وسط القراء والنقاد وهي رواية "مملكة الفراشة لواسيني الأعرج"، لتكون وسيلتنا للوصول لحقيقة هذاالمكون السردي وكيفية تشكله وانبعاثه تجلياته في الرواية، ومن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذه المدونة هواعتماد الراوي على الخلق اللامتناهي من الفضاءات والشخصيات المتخيلة ووضعها جنبا لجنب مع

الأماكن والشخصيات الحقيقية ،بطريقة يصعب التفريق بينهما ما أعطى الرواية شعرية جمالية صنعتها تلك الشخصيات والفضاءات من خلال تمظهرها في الرواية ، ماأعطى للرواية دلالات خفية توحي برمزية الرواية . وهذا يدفعنا لطرح التساؤلات التا لية:

– كيف يتجلى المكون الفضائي داخل الرواية؟وهل يمكن أن نصنع من المتخيل أفضية تتحرك فيها الشخصيات؟ وكيف يمكن للمتخيل أن يعبر عن الحقيقة ؟

وبناء على هذا أدرجنا خطة بحث تكونت من فصلين قبلهما مقدمة تضمنت إشكالية الفضاء وصياغة بعض التساؤلات لإبانة أهمية الفضاء في بناء السرد الروائي،لنخلص إلى أهم المستويات والإجراءات التي اعتمدت في التنظير للفضاء والتي كانت منطلقا لنا في توزيع فصول البحث.

يقوم الفصل الأول على إشكالية الفضاء ومعالم تشكله الذي يتفرع بدوره إلى مباحث، المبحث الأول عنوانه المصطلح والمفهوم ،حيث حاولنا أن نضبط المفاهيم التي تقترب من مفهوم الفضاء وهما المكان والحيز ،ونزيل بذلك الغموض الذي يشوب هذا التقارب . أما المبحث الثاني الذي يحمل عنوان الفرق بين مفهومي المكان والفضاء ، حاولنا من خلاله توضيح أهم نقاط الاختلاف بينهما ، في حين عنونا المبحث الثالث بأنواع الأفضية الذي بينا من خلاله الفضاء بنوعيه .

أما الفصل الثاني المعنون بتشكلات الفضاء في الرواية الذي تجلى من خلال مبحثين فيتجلى الأول في طبيعة الفضاء، حاولنا من خلاله أن نتعرف على طبيعة الفضاء من ناحية كونه فضاء حقيقيا أو فضاء متخيلا ورصد الدلالة التي يحملها كل من الفضاءين، أما المبحث الثاني الذي عنوناه بأنواع الفضاء فقصدنا من خلاله أن نوضح الفضاء من حيث هو فضاء مفتوحا أوفضاء مغلقا، وربطهما بالشخصية التي تعتبر مظهرا من مظاهره ، أما المبحث الثالث فنحاول أن

نبرزعلاقة الفضاء بالشخصيات ومدى ارتباطها به وما تصنفه هذه الشخصيات خلال فضاء الحرب الأهلية.

ونظرا لضعف مقولات الفضاء وعدم رؤيته التي ماتزال ضعيفة ورهينة التجريب خاصة على مستوى النص العربي النقدي ،والتي أعلن فيها نقادنا عن عدم وجود نظرية قائمة للفضاء الروائي ،حيث اعتمدنا في دراستنا على تللك المحاولات القليلة التي اهتمت بالمكون الفضائي .

من أهم هذه المحاولات في الدراسات الغربية ،كتاب غاستون باشلار(جماليات المكان)الذي يعد من الأبحاث الأولى الذي نبه للاهتمام بهذا المكون ،أما فيما يخص المحاولات العربية اعتمدنا على مصادرومراجع أهمها ،لسان العرب لابن منظور ثم توجهنا إلى ما قدمه الناقد المغربي حميد لحميداني بنية النص السرد ي" حيث استطاع أ ن يؤسس لمقولة الفضاء،وكذلك ما قدمه الناقد حسن بحراوي في كتابه" بنية الشكل الروائي "،موضحا أهم مفاهيم الفضاء ،وأيضا اعتمدناعلى كتاب عبد المالك مرتاض نظرية الرواية ".أما فيما يخص المنهج المتبع فهو النهج السيميائي التحليلي لاستقراء هذه التجليات الفضائية لبنية الرواية،حيث وجدنا فيه الأداة المناسبة لتفحص نقاط الموضوع ومحاولة التحكم فيه والبحث عن دلالات البنيات الروائية ومدى استجابة الرموز التخييلية لصنع التيمات الفضائية.

وفي الأخير كلل البحث بخاتمة حاولنا فيها ضبط النتائج أو النقاط المتوصل إليها من خلال دراستا هذه وككل باحث في بحثه فقد واجهتنا بعض الصعوبات خاصة على مستوى الجانب التطبيقي ، لكن بفضل الله وحمده سعينا جاهدين بقدر المستطاع من أجل أن نستفيد ونفيد .

لم تعن الدراسات الأدبية قديما بمصطلح الفضاء الروائي باعتباره مصطلحا حديث النشأة وملفوظا حكائيا قائم الذات، وعنصرا من بين العناصر المكونة للنص حيث لا يمكن أن يتحقق إلا في الوقت الذي نشرع فيه بالكتابة أو القراءة ، وكان للدراسات الشعرية الفضل في ظهور هذا المصطلح في حقل الأدب وفي مقدمتها شعرية الفضاء "la poétique de l’espace" لغاستون باشلار.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الدراسات لم تتطور بعد لتؤلف نظرية قائمة بذاتها عن الفضاء الروائي ، حيث نجد آراء متفرقة لها قيمة و حضور في بناء تصور متكامل حول هذا الموضوع.[1]

أولا- مفهوم الفضاء:

1-1 - لغة:

وردت كلمة الفضاء في لسان العرب بمعنى الحيز فنقول" فضى المكان وأفضى إذا اتسع وأفضى من مكان إلى مكان أي وصل إليه و أصله أنّه صار في وجهته وفضائه وحيزه".[2]

حيث أن الحيز هو" مكان محدد معلم بحدود معينة أي بمعنى ناحية من مكان من فضاء".

و الفضاء : "الخالي الفراغ الواسع من الأرض ، و في حديث معاذ عن عذاب القبر: ضرب بمرصاف وسط رأسه حتى يفضي كل شيء منه أي يصير فضاء".[3]

---

[1]- ينظر،حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء،الزمن،الشخصية،ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت ،ص25

[2]-ابن منظور، لسان العرب، مادة حوز،مج9، ط2 ، صادر للطباعة و النشر، بيروت لبنان،2004 ،ص266.

[3]-المصدر نفسه ، ص195.

و الفضاء: الساحة و ما اتسع من الأرض ... قال الصحراء فضاء، قال أبو بكر الفضاء ممدود كالحساء وهو ما يجري على وجه الأرض[1]

كما وردت أيضا في لسان العرب بمعنى المكان الواسع من الأرض، حيث نجد أن الفضاء المكان الواسع من الأرض، والفعل فضا يفضو هو فائض، وقد فضا المكان وأفضى إذا إتسع، وأفضى فلان إلى فلان أي وصل إليه وأوصله بمعنى أنه صار إليه وأوصله، بمعنى أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه.

1-2- اصطلاحا:

إنّ الفضاء الروائي مثله مثل المكونات الأخرى للسرد، يرتبط وجوده باللغة فضاء لفظي Espace verbal" بامتياز، يختلف عن الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع كالفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح، فهو فضاء لا يوجد إلا من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه وعناصره .

وهذا الطرح الذي جاءت به الشعرية الجديدة ، وذلك لأن تشكل الفضاء الروائي من الكلمات أساسا يحمل كل الأحاسيس والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة أن تعبر عنها وهنا يظهر الفرق الواضح بين فضاء السرد من خلال طابعه اللفظي الخالص عن الفضاءات التي تعبر

[1]-ابن منظور، لسان العرب، مادة حوز، مج9،ص268 .

[2]-المصدر نفسه، ص269.

عنها العلامات غير اللغوية مثل رموز الرياضيات والفيزياء، والتي تعبر عنها الصور المحسوسة مثل الفنون التشكيلية والسينما.[1]

"إنّ الفضاء الذي قام بدراسته الباحثون لا يتميز بكونه فقط المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية، ولكن يعتبر أيضا أحد العناصر الفعالة في تلك المغامرة نفسها".[2]

"فالفضاء هنا لا يقصد به المكان الذي تشغله الأحرف الطباعية التي طبعت بها الرواية، ولكن ذلك المكان الذي تصور قصتها المتخيلة."[3]

يقيم الفضاء الروائي صلات وثيقة مع باقي المكونات الحكائية في النص وتأتي في مقدمتها علاقته بالحدث الروائي والشخصيات الروائية ،كما أنه في العمق ليس سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزمها الحدث الروائي.[4]

وينشأ الفضاء في الرواية من خلال وجهات نظر متعددة لأنه يقوم على عدت مستويات: أولها الراوي بوصفه كائنا مشخصا ومتخيلا أساسا، وثانيها اللغة المستعملة فكل لغة لها صفات معينة لتحديد المكان (غرفة، حي، منزل)، وثالثها من طرف شخصيات التي يحتويها المكان، وأخيرا من طرف المتلقي الذي يبدي بدوره وجهة نظر غاية في الدقة، وعلى هذا الأساس يصبح الفضاء

---

[1]–حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص27

[2]–المرجع نفسه، ص28

[3]–حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،ط3، المركز الثقافي العربي بيروت 2000،ص54.

[4]–ينظر حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص29 ،31.

الروائي عنصرا متحكما في الوظيفة الحكائية والرمزية للسرد، ويعود الفضل في ذلك إلى بنيته الخاصة والوظائف المترتبة عنها.[1]

ثانيا- مفهوم المكان:

2-1- لغة:

"المكان والمكانة واحد، التهذيب، الليث: مكان في أصل تقدير الفعل مفعل، لأنه موضوع لكينونة الشيء فيه، غير أنه لما كثر آجروه عن التصريف مجرى فعال، فقالوا: مكنا له وقد تمكن وليس هذا بأعجب من تمسكن من المسكن، قال والدليل على أن المكان مفعل أن العرب لا تقول في معنى هو مني مكان كذا وكذا إلا مفعل كذا وكذا بالنصب، ابن سيده والمكان الموضع والجمع أمكنة كأقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالا لان العرب تقول: كن مكانك وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه، قال: وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية لأن العرب تشبه الحرف بالحرف، كما قالوا منارة ومنائر فشبهوها بفعالة وهي مفعلة من النور وكان حكمه مناور".[2]

1-حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 32،ص33.

2-ابن منظور، لسان العرب، مج 12، ص 113.

2-2- اصطلاحا :تعددت التعريفات الاصطلاحية والآراء حول مفهوم المكان، فالمكان عند غاستون باشلار: "ماعيش فيه بلا شكل وصفي، بل بكل ما للخيال من تحيز، وهو بشكل خاص بالغالب هو مركز اجتذاب دائم".[1]

وبهذا المفهوم عند غاستون با شلار يصبح المكان عنصر اجتذاب بالنسبة للقارئ باعتباره عنصر خيالي أكثر منه حقيقي مادي.

فالمكان يحمل أكثر من مفهوم وأكثر من دلالة ويأخذ تعريفه من خلال الدراسة التي تهتم به، لكن كل الدراسات تجمع على أنه يخرج من إطاره الجغرافي الجامد إلى إطار آخر يصفه الخيال والفكر فيحمل دلالتهما. [2]

والمكان هو أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث: "فلن تكون هناك دراما بالمعنى الأرسطي للكلمة ولن يكون هناك أي حدث ما لم تلتق شخصية روائية بأخرى في بداية القصة وفي مكان يستحيل فيه ذالك اللقاء".[3]

كما أن المكان هو خديم الدراما في الرواية، فالإشارة إليه تدل على أنه جرى أو سيجري بشيء ما، فمجرد الإشارة إلى المكان كافية لكي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وذالك أنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث. [4]

---

[1]- غاستون باشلار. جماليات المكان،تر غالب هلسا. ط1 . وزارة الثقافة والإعلام، بغداد (العراق) 1980.ص179 .

[2]- ينظر: سعدية بن يحي، دلالة المكان في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر، 2008، ص 1.

[3]- ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 29.

[4]- المرجع نفسه، ص 30.

ومن هذا القول تفهم أنه لا يمكن أن تكتب رواية أو عمل درامي خارج إطار المكان، فهو بمثابة مسرح الأحداث وملتقى الشخصيات.-

ومن خلال ما ذكر سالفا عن تعدد مفهوم المكان، تعددت الاستعمالات في الدراسات المتنوعة، فالمكان عند المتنبي ما هو إلا انعكاس لمظاهر الواقع الاجتماعي في عصره، فهو يستوعب معنى البيئة كما يكشف عن مواقف الشاعر ونظرته للحياة وعلاقته بالمجتمع.

ويعتبر المكان في حد ذاته، سواء أكان واقعيا أم متخيلا وسيلة وليس غاية، وحقيقته في الشعر نفسية (أي ذاتية)، وليست موضوعية وبهذا يصبح المكان ليس كيانا ماديا مجردا إنما عنصر فني متخيل ثري بالقيم والأفكار ويحاكي صور الأشياء في الواقع، وأحيانا يفوق هذا الواقع بالمعنى و الرمز، أو الدلالة، وذ لك في إطار التركيب والبناء الداخلي للقصيدة أو النص الشعري.[1]

ثالثا- مفهوم الحيز:

3-1- لغة:

حيز الحوز والحيز: السير الرويد والسوق اللين، وحاز الإبل، ويحوزها و يحيزها: سارها في رفق، والتحيز: التلوي والتقلب، وتحيز الرجل: أراد القيام، فأبطأ ذلك عليه، والواو فيها أعلى، وحيز حيز من زجر المعزى.

و رواه ثعلب: وتحوزت الحية وتحيزت، أي تلوت، يقال مالك تتحيز تحيز الشيء.

قال القطامي :

[1]-ينظر: حيدر لازم مطلك، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن 2010، ص155.

تحيزت مني خشية أن أضيفها كما انحازت الأفعى مخافة ضارب

يقول: تتنحي هذه العجوز وتتأخر خوفا أن أنزل عليها ضيفا.

ويروي: تحوز مني، وتحوز تحوز الحية وتحيزها، وهو بطيء القيام إذا أراد أن يقوم فأبطأ عليه ذلك. [1]

3-2- اصطلاحا:

أطلق عليه هذا المصطلح نتيجة تقابله مع المصطلحين الفرنسي والإنجليزي Espace، space والحيز في معناه ينصرف إلى الوزن والثقل والحجم والشكل.

والحيز لدى غريماس هو " الشيء المبني أي المحتوي على عناصر متقطعة انطلاقا من الامتداد المتصور على أنه بعد كامل ممتلئ دون أن يكون حل لاستمراريته، ويمكن أن يدرس هذا الشيء المبني من وجهة نظر هندسية خالصة".

ومن هذا المفهوم السميائي البعدي نفهم أنه من المستحيل على محلل النص السردي أن يتغاضى عن الحيز ويمر دون أن يخصه بوقفة تطول أو تقصر، ويستحيل أيضا على أي روائي أن يبدع رواية خارج إطار الحيز، فالحيز هو الشكل الأساسي في الرواية الحداثية .

إن هذا المصطلح لم يرق كثيرا في الكتابات العربية، النقدية خاصة والتي تعود إلى النصف الأول من القرن العشرين، لأن النقاد العرب لم يعطوا الأهمية الكافية لهذا المفهوم الشائع آنذاك، وعلى الرغم من أن الروائيين الجدد باتوا يتعاملون مع الحيز الروائي بكيفيات حديثة كالتقطيع

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مج2، ط4، ص287.

والتشخيص وذلك يربطه بالأسطورة، فأصبح الحيز غالبا ما ينظر إليه من الناحية الجمالية لا من الوجهة التقنية كأنه حلة تتجمل وتتزين بها الرواية .

ومن الصعب أن يرد الحيز منفصلا عن الوصف حتى وإن سلمنا بذلك، فإنه يكون كالعاري، وبه أي الوصف يتخذ مكانة مميزة من بين المكونات السردية الأخرى مثل: اللغة والشخصية والزمن. [1]

رابعا- الفرق بين مفهومي المكان والفضاء :

قبل التطرق إلى مصطلح الفضاء لابد من الإشارة إلى أن هناك مصطلحا معادلا للفضاء وهو مصطلح المكان، فعند "هنري متران" هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة".[2]

فهما مرتبطان ببعضهما ويصعب التفريق بينهما على الرغم من الاختلاف في المفهوم.

"فالمكان الروائي حين يطلق من أي قيد يدل على المكان داخل الرواية، سواء كان مكانا واحدا أم أمكنه عدة، ولكننا حين نضع مصطلح المكان في مقابل مصطلح الفضاء نعنيه التمييز بين مفهوميها فإننا نقصد بالمكان المكان الروائي المفرد ليس غير، ونقصد بالفضاء الروائي أمكنة الرواية جميعها.

[1]-ينظر: عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، دار العرب للنشر و التوزيع،ص185،ص186،ص185 .

[2]- حميد لحميداني، بنية النص السردي ،ص65.

بيد أن دلالة مفهوم الفضاء الروائي لا تقتصر على مجموع الأمكنة في الرواية بل تتسع لتشمل الإيقاع المنظم للحوادث التي تقع في هذه الأمكنة ولوجهات نظر الشخصيات فيها ".[1]

ونظرا لكون الفضاء أوسع وأشمل "فإن المكان أكثر تحديدا من الفضاء الذي يوحي بشيء من الاتساع و اللامحدودية، ولكن يبقى الفضاء متصلا بالمكان."[2]

وقد اختلفت الآراء حول مدلول المكان والفضاء، فهناك مرادفات عدة تستعمل للدلالة على المكان منها الحيز والمقام والموضع.

وعند اللغويين : "هو الموضع أو الحاوي للشيء كمقعد الإنسان من الأرض وموضع قيامه واضطجاعه".[3]

وإذا كان الفضاء لغة يعني المكان الواسع من الأرض فإنه في الإصطلاح الحيز المكاني الذي تتمظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بجدلية الداخل و الخارج المتضمنة في المكان في معارضته مثلا في البيت و اللابيت، كما نرى مسألة التقاطبات عند لوتمان الذي انطلق من فرضية أساسية و هي الفضاء باعتباره مجموعة من الأشياء المتجانسة من(ظواهر، صور و دلالات متغيرة) التي تقوم بينها علاقات شبيهة بتلك العلاقات المكانية (كالامتداد و المسافة) .

1- ينظر: فضيلة عرجون، البنية السردية في رواية قصيدة التذلل لطاهر وطار، رسالة ماستر، جامعة قسنطينة، 2011، ص 87.

2- فتحية كحلوش، بلاغة المكان قراءة في مكانية النص الشعري، ط1،مؤسسة الأنتشار العربي- بيروت-2008م، ص 18 .

3- ليندة لكحل، بناء الشخصية و المكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة ،2011، ص24.

ومفهوم التقاطب في حقيقته أظهر كفاءة عالية عند مطابقته على الفضاء الروائي المتمثل في النصوص، وذلك بفضل التوزيع الذي يجريه للأمكنة و الفضاءات وفقا لوظائفها و صفاتها الطوبوغرافية مما يجعل أمر التمييز سهل بين **الأمكنة** و **الأمكنة** المضادة، كما أبرز المبدأ الأساسي الذي يقول إنّ انبناء الفضاء الروائي دائما يتم عن طريق التعارض.[1]

خامسا- علاقة مفهوم المكان بمفهوم الفضاء:

بناء على ما قلناه سابقا يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات و الرؤيات ووجهات النظر التي تتضافر مع بعضها لتكون الفضاء الروائي الذي يعد مسرحا للأحداث.

وعلى هذا الأساس يصبح الفضاء الروائي عنصرا متحكما في الوظيفة الحكائية و الرمزية للسرد وما ترتب عنها من علاقات، وبهذا لا يمكن اعتبار المكان عنصرا زائدا في الرواية بوصفه يتخذ أشكالا و معاني عديدة، بل يصبح أحيانا هو الغاية من وجود العمل كله. وبهذا يمكن القول أن عنصر المكان يكون مكتملا لإنجاز عنصر الفضاء الروائي.

إن تحليل الفضاء الروائي هو الذي يمكن من الإلمام بدلالة النص الشامل و هذا التحليل ليس بمقدوره تفسير جميع أسرار النص أو الكشف عن مظاهره المختلفة بقدر اهتمامه بدراسة المبادئ البنيوية التي تنظم اقتصاد المكان في الرواية من خلال المستويات التي تكون أساس تشكيل التنظيم الحكائي للنص.[2]

[1] – ينظر: ليندة لكحل، بناء الشخصية و المكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي ، ص36.

[2]– ينظر: حسن البحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء،الزمن،الشخصية)، ص33،34.

وهكذا فالقراءة الوافية للكشف عن دلالة الفضاء الروائي تتبني على إقامة مجموعة من التقاطبات المكانية Polarités Spaciales، وعادة ما تكون هذه التقاطبات في شكل ثنائيات ضدية تجمع بين قوى أو عناصر متعارضة ،بحيث تعبر عن العلاقات و التوترات التي تحدث عادة عند اتصال الراوي أو الشخصيات بأماكن الأحداث، وأول من أشار إلى هذه التقاطبات المكانية أرسطو في كتابه" الفيزياء "، حين تحدث عن الأبعاد الكلاسيكية الثلاثة (الطول، العرض، الإرتفاع)، وتبرز التقاطبات أكثر في جسم الإنسان الواقف (يمين، يسار، أمام ، خلف، أعلى، أسفل)، كما نجدها في شعرية باشلار في دراسته المتعلقة بالأحداث تبعا لعوامل عدة تتصل بالرؤية الفلسفية و بنوعية الجنس الأدبي .[1]

وبهذا يظهر أن الإختلاف بين المكان و الفضاء يتجلى في كون "الأول محدد يتركز في مكان وقوع الحدث و الأخر أكثر اتساعا و يعبر عن الفراغ المتسع الذي تتكشف فيه أحداث الرواية ".[2] فالمكان هو جزء من كل أشمل هو الفضاء.

يسهم الفضاء بدرجة كبيرة في نماء الأحداث "فالفضاء الروائي هو الذي يسمح بإدراك الدلالة الشاملة للعمل كليته، كأن التحليل ليس بمقدوره ادعاء تفسير جميع أسرار النص أو كشف مختلف مظاهره".[3]

[1]– ينظر حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص25.

[2]– ليندة لكحل، بناء الشخصية و المكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، ص25.

[3] – المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

والفضاء يسمح بإعطاء نظرة شاملة على مضمون العمل الفني "الفضاء في الرواية ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن و الوسط و الديكور الذي تجري فيه الأحداث و الشخصيات التي يستلزمها الحدث".[1]

سادسا- أنواع الفضاء:

إنّ البحوث المتعلقة بدراسة الفضاء في الحكي تعتبر حديثة العهد ولا تزال قيد البحث ، و هي عبارة عن اجتهادات متفرقة لها قيمتها يمكنها إذا اتحدت أن تساعد على بناء تصور متكامل حول هذا الموضوع يقول هنري متران Henri Mittran": "لا وجود لنظرية مشكلة من فضائية حكائية، ولكن هنالك فقط مسار للبحث مرسوم بدقة، كما توجد مسارات أخرى على هيئة نقط متقطعة".[2]

ومن خلال ما ألفيناه من الدراسات السابقة حول هذا الموضوع تبين لنا أن هناك أنواعا من الفضاء وعليه رأينا أن نميز بين هذه الفضاءات :

1-الفضاء كمعادل للمكان:

ويطلق عليه عادة الفضاء الجغرافي "l'espace géographique" فالروائي من أجل تحريك خيال القارئ أو من أجل أن يحقق استكشافات للأماكن يقدم دائما حدا أدنى من الإشارات الجغرافية ، لكن هناك من يرى أن الفضاء الجغرافي في الرواية يمكن دراسته باستقلالية عن

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ،(الفضاء،الزمن،الشخصية)، ص31.

[2]- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص53.

المضمون مثلما يفعل الاختصاصيون في دراسة الفضاء الحضري، فهؤلاء لا يبدون أهمية لساكني هذه البنايات، أو سائري هذه الطرقات وإنمّا همّهم الوحيد دراسة الفضاء الخالص.

على عكس "جوليا كريستيفا" لما تحدثت عن الفضاء الجغرافي لم تفصله عن دلالته الحضارية فهو في نظرها يتشكل من خلال العالم القصصي والذي يحمل معه جميع الدلالات الملازمة له، والتي ترتبط عادة بعصر من العصور حيث تسود ثقافة معينة وهو ما أطلقت عليه مصطلح "إيديولوجيم" العصر idiologeme والإيديولوجيم هوالطابع الثقافي الغالب في عصر من العصور،لذلك وجب أن يدرس الفضاء دائما في تناصيته ،أي في تلك العلاقة الموجودة مع النصوص المتعددة لعصر أوحقبة تاريخية محددة.

ويفهم مصطلح الفضاء الجغرافي على أنه مقابل لمفهوم المكان، ويتولد عن طريق الحكي ذاته،وهو بمثابة المساحة التي تتحرك فيها الشخصيات أو يفترض أنهم يتحركون فيها.[1]

2-الفضاء النصي:

ويقصد به الحيز الذي تشغله الكتابة باعتبارها أحرفا طباعية على مساحة الورق، ويتضمن ذلك طريقة تصميم الغلاف، وتنظيم الفصول وتشكيل العناوين وغيرها، وقد كان اهتمام "ميشال بتور" Michel buttor بهذا النوع من الفضاء كبيرا، ولم يقتصر اهتمامه بالرواية وحدها، وإنما نظرته شملت باقي الأنواع الأخرى.

إن الفضاء النصي ليس له ارتباط كبير بمضمون الحكي، ولكن له أهميته إذ يحدد أحيانا طبيعة تعامل القارئ مع النص الروائي أو الحكائي حيث يعطي القارئ فهما خاصا للعمل، كما أن

[1]-حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقدالأدبي، ص ص 53-54.

الفضاء النصي يعتبر أيضا فضاء مكانيا فهو لا يتشكل إلا عبر المساحة مساحة الكتاب وأبعاده ولكنه مكان محدود ولا علاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه الأبطال، وبعبارة أصح هو مكان تتحرك فيه عين القارئ، هو إذن بكل بساطة فضاء الكتابة الروائية باعتبارها طباعة .[1]

3- **الفضاء الدلالي:**

و يتصل هذا النوع بالدلالات التي يوحي بها الفضاء ويعود أمر استنباط هذه الدلالات إلى القارئ الأدبي، أي فضاء دال على شيء ما مرتبط بتأويل القارئ. ويشير "جيرار جنيت "إلى هذا النوع من الفضاء على أنه ذو صلة بالصور المجازية ومالها من أبعاد دلالية.

ويشرح "جيرار جنيت" طبيعة هذا الفضاء كما جاء في كتاب حميد لحميداني على النحو النحو التالي: إن لغة الأدب بشكل عام في أغلب الأحيان،لا تقوم بوظيفتها بطريقة مبسطة إلا نادرا، فالتعبير الأدبي لا يحمل معنا واحدا فهو قابل أن يتضاعف. إذ االكلمة الواحدة يمكن أن تحمل معنيين تصفهما البلاغة بأن أحدهما حقيقي و الآخر مجازي، وبذلك يشكل فضاء دلالي "Espace Sémantique" يكون بين المدلول المجازي و المدلول الحقيقي، ويعتبر "جيرار جنيت" بأن الفضاء هو عادة ما ندعوه صورة " figure ".

إن المفهوم الذي قدمه "جيرار جنيت" لهذا النوع من الفضاء، يشعرنا أنه بعيد عن ميدان الرواية ينتمي إلى مجال الشعر، فلا يمكن أن نعتبر فيما يبقى الفضاء مبحثاً حقيقيا لأنه في الأخير"جيرار جنيت" لم يكن يتحدث عن مبحث بلاغي معروفا يمكن أن يدرج تحت عنوان عام هو "المجاز". ثم إن الفضاء ليس له في الواقع مجال مكاني ملموس لأنه مجرد مسالة معنوية فأغلب

[1]- المرجع السابق، ص55.

النقاد الذين تحدثوا عن الفضاء، كانوا يراعون شوطا أساسيا وهو وجود مجال مكاني معين يمكن أن يدرك أو يتخيل. كما يمكن أن يحتوي على أشخاص أو حتى على أحرف طباعية.[1]

4- الفضاء كمنظور أو كرؤية:

عندما تتحدث "جوليا كسريتيفا"عن الفضاء كمنظور أو كرؤية كما جاء في كتاب حميد لحميداني .إنما تتحدث عما يشبه زاوية النظر التي يقدم بها الكاتب أو الروائي عالمه الروائي فتقول: "هذا الفضاء محول إلى كل، إنه واحد، وواحد فقط. مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب التي تهيمن على مجموع الخطابات، بحيث يكون المؤلف بكامله مجتمع في نقطة واحدة و كل الخطوط تتجمع في العمق، حيث يقبع الكاتب، وهذه الخطوط هي الأبطال الفاعلون les acteurs الذين تنسخ الملفوظات بواسطتهم المشهد الروائي .

فالفضاء هنا شبيه بالخطة العامة للراوي أو الكاتب في إدارة الحوار، وإقامة الحدث الروائي بواسطة الأبطال وهنا شبهت كريستيفا الرواية بالواجهة المسرحية و كأنه عالم روائي مشدود لمحركات خفية، يديرها الراوي وفق خطة مرسومة يحرك بها(الراوي) أبطاله وأشياءه و ما تتحدث عنه" جوليا كريستيفا "هنا يشبه إلى حد بعيد ما يسمى زاوية رؤية الراوي.[2]

[1] –ينظر حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص60،61.

[2] – ينظر : المرجع نفسه ، ص61.

طبيعة الفضاء:

أولا: فضاءات ذات مرجعية حقيقية:

1-غرناطة:

يعود مولد غرناطة الحقيقي إلى القرن الحادي عشر ميلادي، حينما تصدعت وحدة الأندلس على أيام ملوك الطوائف. وكلمة غرناطة مشتقة من مصدر روماني"Granate" ، ويقصد بها الرَمانة وسميت بذلك لكونها ذات طبيعة جمالية تحيط بها الحدائق والمروج وبساتين الرمان الكثيرة المنتشرة حولها.

وقيل أنها سميت كذلك لكونها تشبه الرمانة المشقوقة بموقعها وانقسامها التّلين، فتبدو منازلها الكثيفة وسط هذا المشهد كالرمانة المشقوقة. وغدت غرناطة في القرون الثلاثة الأخيرة أكبر المدن الأندلسية بعد تكاثر الهجرات إليها من المدن، كما كانت مركز الثقل للنشاطات السياسية،الاقتصادية و الفكرية . وفيها ترك المسلمون معالم حضارية لا يزال معظمها كما كان بالأمس، فحاضر المدينة يشهد على أمجاد ماضيها ،وقد تساقطت القواعد العربية الواحدة تلوى الأخرى بيد الإسبان آخرها غرناطة التي سقطت بفعل الجوسسة والخيانة واختلاط العرب المسلمين بالإسبان.[1]

وقد أدرجت غرناطة في الرواية من خلال شخصية مثقفة *وكاتبة مسرحية، ولجوء هذه الشخصية إلى هذه المدينة باعتبارها مدينة* العلم و التطور الحضاري، والفكر و الازدهار الاقتصادي وانفتاحها على مختلف المجالات.ما وجدت فيه شخصية الرواية ضالتها وهروبا من الوضع المأساوي

[1]- ينظر، عبد الحكيم الذنوب، آفاق غرناطة، ط1،دار المعرفة نشر وتوزيع وطباعة، 1988، ص35.

انفتاحهالدامي والمنغلق على نفسه (الجزائر). و قد أدرج الكاتب فضاء غرناطة في الرواية باعتباره يحمل دلالة تاريخية عريقة لها ثقلها ومدلولها الحضاري الإسلامي وما خلفها المسلمون العرب من إنجازات عظيمة لا يزال التاريخ يشهد عليها. ومن توظيفه لهذا الفضاء نستشف حنين الكاتب إلى أمجاد الماضي التي ولت واندثرت."فاوست مرتاح هناك معشوق جميل معلق بين حب مدينتين إشبيليا وغرناطة،ومدينة ثالثة حولتها الأيام القاسية إلى مجرد حلم يتأرجح على حلم من نار."[1]

[1]–واسيني الأعرج، مملكة الفراشة،ط1ة،دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع،يونيو،2013، ص320.

2-الجزائر العاصمة:

تعتبر القلب النابض للجزائر و مركز ثقل للنمو الديمغرافي والنمو الاقتصادي، وقد وظف هذا الفضاء في الرواية باعتباره مكان الحدث الرئيسي الذي تسارعت وتطورت فيه الأحداث في فترة وسمت بالدامية. وقد خص بالذكر عائلة محددة عانت الويلات جراء ما خلفته هذه الحرب الأهلية. والغاية من توظيف هذا الفضاء باعتباره فضاءا راقيا وما يحمله من صفات التمدن، وتنحصر دلالة هذا الفضاء في كونه يحمل طابع الدموية والخوف والرعب فهو ذو إيحاء سلبي مناقض لمفهوم السلام والهدوء والسكينة.وهو فضاء تحرك الشخصية البطلة واستقرارها وعملها ومقر إقامتها مع عائلتها.

ثانيا: فضاءات ذات مرجعية تخيلية:

1-البيت:

إن البيت في ظاهره ركام من الجدران والأثاث وكل بيت يتميز في تصميمه عن البيوت الأخرى، ويمكن أن نصفه وصفا موضوعيا بالتركيز على المظهر الخارجي الملموس ولكن هذه الرؤية تفرغ البيت من كل محتوى، كما أنها تقف عائقا أمام الفهم الشامل لوظيفة هذا المكان ووظيفته بذلك تصبح عاجزة عن إدراك التعابير المجازية التي يحملها البيت باعتباره منبعا لكم هائل من المعاني والقيم.

فالبيوت تعكس قيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية المشتركة بين الشخصيات، فبيت الإنسان امتداد له فإذا وصفنا البيت وصفنا الإنسان، فالبيوت تعكس شخصية أصحابها فهناك دائما تأثير بين الشخصيات والمكان الذي تقيم فيه بحيث لا تكون هناك دلالة لشيء ما في بيت معين دون أن

نربطه بالإنسان المقيم فيه، فالبيت ركن في العالم يسمح بخلوة البطل ويطلق العنان لمخيلته لاسترجاع ذكريات وأحلام أي حرية التفكير فهو يحمي أحلام اليقظة ودون البيت يصبح الإنسان كائنا ضائعا، فالبيت جسد وروح.[1]

"لكن أن دخلت بمجرد أن دخلت البيت إلى عمق البيت أحسست بأمان غريب وذهبت كل ارتباكاتي التي كانت تعتريني وأنافي الطريق" [2]

إن فضاء المنزل في الرواية بالنسبة للشخصية البطلة له دلالة الأمان والراحة، حيث تعتبره ملجأ للسكينة والطمأنينة ، ومهربا مما كان يعيشه الشارع من اضطرابات." بمجرد أن دخلت إلى عمق البيت أحسست بأمان غريب وذهبت كل ارتباكاتي التي كانت تعتريني وأنا في الطريق"[3].

و بمجرد دخول الشخصية البطلة إلى البيت تنسى أعباء يومها المتعب لتنتقل إلى غرفتها الخاصة وتدخل في دردشتها على موقع التواصل الاجتماعي."أتفرس في اللوحات والصور قليلا وكأني أكتشفها للمرة الأولى لسبب لا أعرفه، ثم افتح الكمبيوتر ... ثم أعود بكل حيويتي إلى المكتب."[4]

يرمي الراوي من خلال توظيفه لفضاء البيت ليس البيت في حد ذاته كشكل وإنما ليكشف لنا عن مضمونه من خلال العلاقات المتداخلة بين شخصيات هذا الفضاء الضيق الذي لم يكن يسمح بإنشاء علاقات خارجه نتيجة لتلك الفترة الحرجة.

1-ينظر حسن بحراوي،بنية الشكل الروائي،الفضاء، الزمن، الشخصية، ص 43.

2-وسيني الأعرج، مملكة الفراشة، ص 10.

3- المصدر نفسه، ص10.

4- المصدر نفسه، ص43.

2-الصيدلية:

يعتبر مكان استقطاب مختلف شرائح المجتمع لاقتناء الأنواع المختلفة من الأدوية، وهي ذات دور فعال في مختلف المجتمعات وبالأخص في الجزائر في فترة وسمت بالعشرية السوداء.وذلك يعتبر تحدي بالنسبة للشخصية البطلة كونه حلما أرادت تحقيقه على أرض الواقع وإكمال رسالة أبيها التي لم تكتمل بسبب رصاصة غادرة من جهة ،ومن جهة أخرى مساعدة الناس خاصة من ناحية توفير الأدوية النادرة."سعدت بأن الأدوية النادرة التي طلبناها وكان الناس يحتاجونها وصلت."[1]

وهذا الفضاء هو فسحة للترويح عن النفس بالنسبة للشخصية البطلة خاصة بوجود صديقتها التي تعينها على إدارة أمور الصيدلية، و هو الفضاء الذي يعينها على الهروب من الروتين اليومي خاصة نسيان اغتيال أبيها الذي يعمل في نفس المجال." لولا الصيدلية وصديقتي جاد لانهار كل شيء."[2]، "استطعت برفقة جاد أن نعيد الحياة لصيدلية محروقة عن آخرها."[3]، ولجوء الكاتب إلى هذا الفضاء لم يقصد من ورائه الوصف المجرد الملموس، وإنما محاولة بعث الدلالة الكامنة وراء هذا الفضاء وهي دلالة اجتماعية، باعتباره لازمة اجتماعية لا يمكن الاستغناء عنها في الظروف الحالكة التي كانت تعيشها الجزائر.

[1]- واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، ص181.

[2]- المصدر نفسه،ص297.

[3]- المصدر نفسه،ص135.

3- المخزن:

قبو موجود في أسفل بيت جد أحد الأصدقاء الحميميين للشخصية البطلة، وقد مر عليه زمن دون أن يفتح، فأصبح هذا المخزن مأوى لفرقة موسيقية مكونة من سبعة أشخاص كل واحد منهم يعزف على آلة خاصة"عندما اقتحمنها كدنا ندوخ من شدة العفن، كان المخزن مهملا كليا مليئا بالرطوبة ...أصبح عمليا بعد أن تجندنا له جميعا لإعادة تأهيله"[1].

أطلقوا على أنفسهم فرقة "ديبو جاز" فديبو" تعني مخزن في اللغة الفرنسية وجاز مرتبطة بالعمل الفني، ويقع هذا المخزن بعيدا عن ضجيج المدينة حيث يطل على البحر والشارع من خلال نافذتين مفتوحتين عليهما، فهو مأوى لقاء الأحبة جمعت بينهم علاقة حميمية وأخوية متينة وهو بمثابة البيت الثاني للبطلة تجد فيه راحتها وذالك بالترويح عن نفسها عن طريق آلة الكلارينات التي كانت تعزف عليها وتخلق فيها شعورا دافئا ينسيها على الأقل لساعات ما كان يختلج صدرها من هموم وضغوطات ."أحب جدا آلة الكلارينات أشعر أن بيني وبينها نفسا من أنفاس الآلهة"[2]

"كبرت مع الكلارينات حتى صعب علي الانفصال عنها،كانت وجداني العميق ووسيلتي الانتقامية من الموت "[3]. ويعود إدراج هذا الفضاء إلى طابع التحدي الذي يحمله والصراع ضد الوضع المزري السائد،فالغرض من هذا التجمع في هذا الفضاء ليس تأليف مقطوعات موسيقية أو الفن في حد ذاته بل الهروب من الواقع،ومحاولة خلق عالم مفارق لعالم الحقيقة الذي يغلب عليه الانطوائية والمأساوية التي تقتل الأمل بالغد.

---

[1]- واسيني الأعرج،مملكة الفراشة، ص، 15.

[2]- المصدر نفسه، ص16.

[3]- المصدر نفسه،ص18.

4-السجن:

إن التطرق إلى فضاء السجن في المادة الروائية قد شكل مادة خصبة للروائيين في التحليل بوصفه عالما مفارقا لعالم الحرية من خلال الوظيفة الدلالية التي يوحي بها السجن كفضاء روائي مخصص لإقامة الشخصيات، خلال فترة محددة إجبارية غير اختيارية تحت عقوبات صارمة،وبهذا يصبح السجن نقطة تحول من الخارج إلى الداخل ومن العالم الواسع إلى الذات المعزولة المنفردة بذاتها، بما في ذلك الالتزامات التي تثقل كاهله ،و بمجرد أن تلامس أقدام السجين عتبة السجن مودعا وراءه عالم الحرية يبدأ مسلسل العذابات التي لا تزول إلا بالإفراج عنه،أحيانا لا تزول إلا بمرور وقت طويل،كما يجرد السجين من أبسط ممتلكاته الشخصية، وما يزيد من معاناة السجين عقب دخوله السجن تجريده من هويته الخاصة واستبدالها برقم يجعله في عداد النكرات التي يعج بها السجن[1].

"أنا يما ما نعرفش ريان،لا حاجة لي بالأسماء أصلا أعطيني رقمه أقول لك من،وليدي اللي دخل الآن يجري أمامك،أعرف اللي قتل مربي خيول القصر الجمهوري السبعي،وليدي سبع ونص لا ليس هذا قصدي رقمه هو هذا7777777 وينادونه هنا سبع سبعات."[2] وبهذا يصبح النزيل مجرد رقم عددي تفنى وتضمحل فيه الهوية الذاتية للسجين ما يصبح أمرا عاديا طبيعيا يتعود عليه مع الوقت،وهذا الأسلوب يدخل النزيل في درجات من الدونية فيصبح ربما ذلك اشد إيلاما من فقدانه حريته،والهدف المرجو من وراء هذه الممارسات العقابية التي تمارس على النزيل إلغاء خصوصيته

1- ينظر حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص55- 56. -

2- واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، ص189- 190.

التي تميزه عن المجموع حيث يفقد مميزات الاختلاف والتفرد ويصبح نسخة مكررة تندرج ضمن مكونات الفضاء المعلق لعالم السجن. [1]

5-الزنزانة:

إن الانتقال بالنزيل من الحياة العامة التي تعود عليها ضمن الفضاء الأهل داخل السجن،إلى الزنزانة الانفرادية بموجب العقاب يبدد ما تبقى من الإمكانيات الضئيلة في الحركة والاتصال بالعالم المحيط مما يضطر بالنزيل لمواجهة ضيق المكان إلى الحيلة و الخديعة فيحتال ليخرق قانون المحدودية الصارمة التي تطوق الفضاء السجني،وهذا كله وهم وخيال سرعان ما يتبدد ويتلاشى حينما يستيقظ على حقيقة الجدران الصلبة التي تظل تحتضنه كسيف في غمد.تكون الإقامة الانفرادية بالزنازن المخصصة لمضاعفة عقاب الخارجيين عن السجن بهدف عزله وتشديد الخناق عليه،وفي الزنزانة الانفرادية تمارس العزلة التأديبية ما يزيد من الشعور بالعجز وبعث مناخ تراجيدي لا يقارن بالفضاءات المعلقة الأخرى،وبهذا يصبح المكان عبارة عن مساحة للعتامة وفقدان الأمل.وهكذا أصبحت الزنزانة مسرحا تتحقق فيه مختلف أنواع الاضطهاد لدرجة تصبح ساحة السجن الواسعة بالنسبة للزنزانة الضيقة عند النزيل فسحة تنفس يمكن الاستئناس بها في أي لحظة[2] وبالتالي تكمن دلالة كل من فضائي السجن والزنزانة في كونهما مشحونين بالعزلة والانطوائية فضلا عن افتقاد الحرية وكل ما تحمله هذه الدلالات من معنى تفقد النزيل الرغبة في الحياة.

1 – ينظر حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص56.

2– المرجع نفسه، ص68.

-المقهى:

يعتبر المقهى مكان استقطاب لحظات العطل والممارسات التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية،فهناك دائما سبب معروف أو غير معروف وراء ارتياد الشخصية مقهى ما،ولا يكون أمر الذهاب إلى هذا المكان إلزاما أو أمرا وإنما يحدث عن رغبة ذاتية اعتيادية وابرز الدلالات التي تحملها صورة المقهى تكون سلبية توحي بما يعانيه الفرد من ضياع وتهميش،وما يؤكد ذلك إن فضاء المقهى يكون مسرحا لعدد من الممارسات المشبوهة كالقمار أو تجارة المخدرات،وما ينجم عنه من تعطيل الفكر والبدن،كما يصبح المقهى مكان للثرثرة واغتياب العالم وتناقل الشائعات الرخيصة ويعتبر ذلك شكل من أشكال التنفيس عن الذات الفردية[1].

وقد وظف هذا الفضاء في الرواية لماله من دلالة اجتماعية محضة ودلالة ايجابية عكس ما توحي به صورة المقهى باعتباره مكان يحمل ذكريات الحنين إلى الماضي

8-الفايسبوك:

موقع اجتماعي يستقطب مختلف شرائح المجتمع ويمكن القول انه أصبح ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، كونه جسر تواصل يربط بين مختلف البلدان والقارات مما يجعل العالم قرية كونية صغيرة وقد شكل هدا الفضاء عالما خاصا بالشخصية البطلة كونه مهربا من أعباء ومشاكل الحياة عامة والصراعات الأسرية التي كانت تعيشها خاصة. وقد أعطي لهذا الفضاء مجالا أكبر ممّا ينبغي محاولا أن يبرز الراوي من خلاله دلالة هذا الفضاء،لأنه يحمل دلالتين في الرواية الأولى

1- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص91.

ايجابية كونه الرابط الحميمي الذي ربط بينها وبين صديقها الحميم،أما السلبية فتكمن في خيبة الأمل التي تلقتها بعد اكتشافها أن صديقها الذي تتواصل معه مجرد شخص وهمي موجود فقط في مخيلتها."لا افهم جيدا لا تملك حساب فيسبوك غريب إذا أنت لا تعرف عشاقك ومحبيك...و لا هموم فاوست...حقيقة لا افهم جيدا في الفيسبوك...لي صفحة واحدة نبهتني لها زوجتي يديرها شاب من العائلة.[1]

"شعرت بجرح كبير ينفتح فالتفت نحو الفراغ لكي أبكي ولكني لم أجد فراغا صالحا لشجني،كنت خائفة فقط من الانفجار والجنون. "[2]

9-الأحلام:

لحظات يعيشها الإنسان من اللاشعور نحركها رغبة مكبوتة لم تجد لها مجال في الواقع فتهرب إلى عالم الأحلام حيث كل شيء مباح وممكن ولهذا الفضاء في الرواية دلالة الهروب من الوضع المزري في فترة العشرية السوداء كونه يسمح للشخصيات يعيش تجارب خاصة لا تستطيع أن تعيشها في الواقع عليه طابع الحرب الدموية."الحلم كان دائما منقذي أعيش به عندما تنغلق في وجهي كل الأبواب القاسية،أحيانا أحاول أن أطيل في عمر الحلم،اقصر من الكوابيس في لحظة غفوة تقع ما بين النوم واليقظة،ولكن الأمر لا يخضع دائما لإرادتي ولمزاجي ،أنجح قليلا ،و أخفق في أغلب الحالات."[3]

[1]- واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، ص470.

[2]-المصدر نفسه، ص471.

[3]- المصدر نفسه، ص 381.

وتحمل هذه الأحلام في عمقها دلالة الأمل والرغبة في غد مشرق وأحسن وبلد مزدهر وامن كله محبة وسلام.

10-الزاوية:

مكان للتعبد تقام فيه حلقات لتعليم القران الكريم ومختلف شعائر العبادة حيث تلتقي فيه مختلف الأعمار سواء كانوا صغارا أم كبارا. وفيما يخص الزاوية المذكورة في الرواية المسماة بزاوية سيدي الخلوي ، وهي زاوية معزولة عن المدينة ولشدة بعدها أصبحت مكانا مهجورا لا يرتاده الناس "كانت زاوية معزولة ولكن من شدة امتداد المدينة أصبحت زاوية صغيرة في عمقها يتم كبير مثل المغارة المعزولة."[1]

وتكمن علاقة الشخصية البطلة بهذا المكان كونه المكان المعتاد الذي تزوره الأم من حين لآخر ،وسبب ذهابها إلى هذا المكان هو الحلم الذي رأت فيه أمها تطلب منها الذهاب إليه "أغمض عيني أكثر،أتمادى في اللاشيء، هلام من البياض ... أرجوك يا قلبي اعتذري لسيدي الخلوي عن غيابي قدمي له التعازي من عندي. "[2]

وهو فضاء يحمل في عمقه دلالة دينية تبين مدى ارتباط الشعب الجزائريّ بالدّين وتقديس الأماكن المقدسة التي تكرّس تعاليم الدين وتحافظ عليه في خضم الظروف المأساوية .

[1]- واسيني الأعرج،مملكة الفراشة ،ص 232.

[2]- المرجع نفسه ،ص231.

أنواع الفضاء:

أولا:الفضاء المفتوح:

نعني بالانفتاح هنا اللا محدودية وتلاشي الحدود، ويظهر ذلك من خلال زوال الحدود التي تحدد المكان وتظبطه فيصبح الفضاء الذي تنتجه البنى النصية وطبيعة الاستجابة من جانبنا كقارئ فرد يعبرعن جماعة معينة[1]،ومن أهم الفضاءات المنفتحة التي تجلت في العمل الر وائي نجد

1-غرناطة:

تصنف ضمن الفضاءات المفتوحة كونها فضاء منفتح على الفكر الحضاري لما تملكه من مميزات تؤهلها لذلك، وهذا ما يجعلها وجهة تستقطب المفكرين والمبدعين، ونموذج ذلك في الرواية "فاوست" الذي وجد ضالته فيها ودليل ذلة إبداعه لمسرحيته "لعنك غرناطة" التي عرضت في الجزائر مما يوضح ذالك التمايز الموجود بين فضائي الحدث الرّوائي اسبانيا كفضاء مفتوح والجزائر كفضاء مغلق.

"لا يمكنني أن أتراجع فقد اتفقت على عرض المسرحي مع وزارة الثقافة و السياحة."[2]،"لعنة غرناطة التي حاول أن يجعل منها مدخله الخاص للسّلام الذي تنعم به البلاد وإسهامه المميز في نسيان سنوات الرّماد"[3]

1-ينظر: فضيلة بولجمر، هندسة الفضاء في رواية الأمير لوسيني الأعرج، رسالة الماجيستر، جامعة قسنطينة، 2010، ص 52، نقلا عن حسن نجمي شعرية الفضاء، ص 83.

[2]-واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، ص364.

[3]-المصدر نفسه، ص397.

2-المقهى:

هذا الفضاء هو من أهم فضاءات الانتقال كونه فضاء منفتح على العالم الخارجي، ففيه تلتقي معظم شخصيات الرواية لتبادل أطراف الحديث.وإذ كان المقهى فضاء لبناء الحدث وتحرك الشخصيات فإنه كذالك على مستوى البناء الدلالي يمثل فضاء الإطلاع على ما يجري في الفضاءات الأخرى من أحداث متنوعة وبهذا يتحول المقهى من بيت الألفة الخاص إلى بيت الألفة العام، فالإنسان حين لا يجد مأوى أو يضيق به مأواه يأخذ في البحث عن فضاء آخر ليمتص لحظات فراغه إذ يجد فيه شيئا من الألفة التي فقدها في باقي الأماكن الأخرى .

3-**الصيدلية:**

هو فضاء منفتح باعتباره مركز جذب مختلف شرائح المجتمع كما يعد مكانا من أمكنة الحدث الروائي و ينعكس ذلك من خلال الأهمية التي كانت توليها "ياما" للصيدلية و محاولة فتحها من جديد بعد احتراقها و توفير مختلف الأدوية النادرة التي كان يحتاجها الناس في تلك الفترة و هذا ما جعل فضاء الصيدلية من الفضاءات المهمة في الرواية فهي تحمل ثقل دلالي يوحي بالرغبة في الاستمرارية و الكفاح ضد الوضع المتوتر السائد آنذاك ."الصيدلية رهان دراسي جميل، ستحبين هذا التخصص لأنه كلّه خير و خدمة للناس ".[1]

4-الزاوية:

فضاء مفتوح كونه يسمح بممارسة الشعائر الدينية مما يخلق راحة نفسية فهو موروث ديني يحمل طابع تعليمي تربوي ديني، حيث يحافظ على تعاليم الدين بالدرجة الأولى و تنمية الوعي

[1]-واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، ص372.

الديني و الفكري و بعث أسمى الأخلاق لتقويم نفوس الأفراد، مما يخلق مجتمع راقي أخلاقيا و واعي فكريا له بصمته الخاصة، و ينعكس ذلك في الرواية من خلال الزاوية التي زارتها ياما و التقت فيها بشيخ الزاوية "سيدي الخلوي" الذي تبادلت معه أطراف الحديث، مما بعث في نفسها الراحة و الطمأنينة، كما تعتبر من الفضاءات التي تحمل صفة النقاء، الصفاء و السكون الروحي."وضع يده على كتفي و على رأسي، شعرت بحرارتها فجأة انتابتني سكينة و أمان غريب".[1]

ثانيا-الفضاء المغلق:

إن صفة الانفتاح أو الانغلاق في رواية مملكة الفراشة تصنعه لغة الرواية،فيعطي الفضاء بذلك دلالات لا تعبر عن تلك الحدود المادية الملموسة فقط بل تتجازها لتعبر عن المعاناة الذاتية وهذا ماعبرت عنها تلك الأماكن التي عكست صفة الانغلاقية التامة المادية والنفسية،ومن هذه الأماكن . البيت والسجن

والفضاء المغلق هوعكس الفضاء المفتوح ،فالفضاء المفتوح يبعث على الطمأنينة والحرية بخلاف الفضاء المغلق الذي يوحي بكل ما هو مقيد ومجبر والضياع داخل أفضيته.[2]

1-السجن:

يعود تناول فضاء السجن بكثرة في أغلب الروايات العربية المعاصرة خاصة في السنوات الأخيرة ويعود ذلك إلى الأحداث التي شهدتها مختلف البلدان العربية .

1-واسيني الأعرج،مملكة الفراشة، ص236.

2-فضيلة بولجمر، هندسة الفضاء في رواية الأمير لواسيني الأعرج، ص62.

فالسّجن يأخذ صفة المغلق نظرا لطبيعته المغلقة على مجموعة من الأشخاص فيفصلهم عن البيئة والمحيط، إذ يقتصر تواجدهم في مساحة مغلقة ومعزولة، وتصوير فضاء السّجن في هذه الرواية من خلال التركيز على ما هو معنوي ونفسي أعطى لنا صورة واضحة عن هذه الممارسات،إذ أصبح يرتبط بكل ما هو قبيح وفظيع ومرعب.

فإذا كان السجن الفضاء المغلق الذي أغلق على "ريان" الذي فصله عن عالمه الخارجي وبهذا توقف الزمن بالنسبة إليه فأصبح لا يشارك في الأحداث الخارجية، فالسجن هو مجال للموت البطيئ إذ يساهم في تسريع العذاب الجسدي والنفسي كما أنّ مساحة السجن الضيقة تمثل الظّلام التّام والنّوم الثّقيل والشّعور بالوحدة.

2-الزنزانة:

باعتبار الزنزانة جزء من فضاء السّجن فهي أشدّ انغلاقا و ضيقا منه، فبنقل السّجين إلى الزنزانة يصبح العالم كله زنزانة أشبه ما تكون بالقبر مما يزيد من إحباط السجين، وهذا نوع من أنواع العذاب المعنوي الذي تجسد في هذا المكان وهذا ما لمسناه في شخصية "ريان" الذي أصبح منغلقا على نفسه حتى أنه رفض التواصل مع عائلته خاصة والدته."كان يراني وحدي إذ كنت بعيدة عن فيرجي "والدته"،قليلا لأنها كانت منكسة الرأس منهمكة مع أم سجين أخر، لكنه بمجرد أن رآها صرخ كالذئب واندفن من جديد في عمق البهو، ركضنا وراءه لكنه قد غاب في أعماق الدهاليز الطويلة، قبل أن نصطدم بشباك حديدي شبه مغلق"[1]

[1]-واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، ص189.

"كلما ذهبت نحوه ضمني إلى صدره وبكى طويلا، قبل أن يتدحرج نحو زنزانته بلا كلمة واحد"[1]

"كلما ذهبت نحوه ضمني إلى صدره وبكى طويلا، قبل أن يتدحرج نحو زنزانته بلا كلمة واحد"[2]

3-**البيت:**

يعد فضاء البيت من الفضاءات التي تدور فيها أحداث الرواية وتتحرك فيها الشخصيات وهو فضاء مغلق بحكم الأحداث التي وسمت بها تلك الفترة كما أنه فضاء اختياري وليس إجباري نختاره للإقامة فيه فهو بمثابة الجسد الذي يحمي الروح "فهو ركننا في العالم،إنه كما قيل مرارا،كوننا الأول، كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى."[3]

ويعتبر فضاء البيت "لياما" فضاء الماضي والحاضر والمستقبل فيه تشكل عالمها الخاص بدءا بميلادها

وطفولتها وشبابها. وقد برزت دلالته من خلال مظهر الألفة والأمن الكائنين فيه،"يكون المكان قيمة ولا يوجد قيمة أعظم من الألفة"[4]

4-الجزائر العاصمة:

تعتبر من الفضاءات المغلقة بحكم الأحداث الدامية التي كانت تعيشها الجزائر في العشرية السوداء حيث كان طابع الموت غالبا عليها،فأصبحت بذلك فضاء نفور وليس فضاء

1-المصدر السابق، ص 187.

[2]-المصدر نفسه، ص 187.

[3]-غاستون باشلار ،جماليات المكان ،ص36.

[4]-المرجع نفسه ص،184.

جذب، والدليل هروب الشخصية "فاوست" إلى إسبانيا كبديل لعالم لا يقبل الأخر ويعود تخصيص هذا الفضاء هو أن عاصمة أي بلد وما يجري فيها من أحداث هو صورة لما يجري في باقي المدن الأخرى لهذا البلد. ويرجع حديث الراوي عنها أكثر من سواها إلى رغبته في التعبير عن حدة الصراع السياسي.

علاقة الشخصية بالفضاء:

يشير النقاد إلى أن الفضاء بمختلف عوامله يلعب دورا في تشكيل الشخصيات، حيث هناك وفرة نسبية في إشارة النقاد إلى اعتماد الروائيين الفضاء وعوامله المختلفة لدراسة شخصياتهم الرائية وشكل أبعادها النفسية والفكرية ورسمها بمظاهرها الجسدية ولباسها وسلوكها.فكثيرا ما يتمكن الإطار المكاني من تحديد هوية المنتسبين إليه.[1]

وقد أدرك الروائيون العرب أن الفضاء يلعب دورا هاما في بناء الرواية بصفة عامة باعتباره عنصرا فنيا أساسيا من عناصرها، و في تكوين الشخصيات التي تتواجد فيه حيث تتشكل في صورة تتناسب مع مظاهر ذلك الفضاء.[2]

لقد مثلت الشخصية لفترة ليست قصيرة الرواية حتى أصبحت تسمى برواية الشخصية،وهذا للأهمية التي تشكلها كمكون سردي،ولما كان الفضاء المكاني يقوم على بعد سكوني استوجب الاهتمام بالجانب الأخر الذي يمثل البعد الدلالي المتحرك والمتفاعل معه.[3]

---

[1]–صلاح صالح. قضايا المكان الروائي في الأدب المعا صر، ط1، دار الشرقيات للنشر والتوزيع ، القاهرة،1997 ، ص133.

[2]–المرجع نفسه،ص133.

[3]–فضيلة بولجمر، هندسة الفضاء في رواية الأمير لواسيني الأعرج،ص94.

وإذا كانت جودة الرواية تقاس بمدى قدرتها على خلق الشخصيات الروائية، فإن قيمتها الجمالية ومصداقيتها الحقيقية تنحصر بصورة جوهرية في قدرة الراوي وإمكانياته في تقديم شخصيات حيادية لا مثقلة بخلفياته ولا بأفكاره المباشرة، إنما يتحقق له ذلك بما تحدثه المكونات السردية من صدق في إيحائها ومهارة الروائي بعرض عمله الروائي،حتى يمتلئ بروح الحياة وتتجسد من خلالها تجليات المجتمع حيث"إن الشخصية الروائية يمكن أن تكون مؤشرا دالا على المرحلة الاجتماعية التاريخية التي تعبر عنها،حيث تكشف عن نظرتها الواعية إلى العالم وهذه النظرة هي أرقى أشكال الوعي لدى الإنسان، موقف خلاف لديهم في امتلاك الواقع جماليا."[1]

إن الروائي بعد أن يمنح الشخصية الرواء ية مكانا في الفضاء الروائي،يحملها على الظهور تدريجيا لا بصورة كلية ودفعة واحدة،إنما بشكل يمكن القارئ من التعرف عليها بما يفضيه العمل الأدبي متدرجا في الصفات والأفكار وبما يوليه لها من أدوار تشد بعلاقات الانسجام داخل النص الروائي ولا يشير له ذلك إلا بما يعتمده الروائي من أشكال مميزة لظهور الشخصية،وصيغ محددة في تقديمها وهو ما اصطلح عليه في الروايات الحديثة بوجهة النظر أو المنظور، وهو الطريقة التي يستطيع بها الراوي الكاتب أن يهيمن على عالمه الحكائي، بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح.[2]

وتتحدد العلاقة بين الشخصية والفضاء من خلال تفاعل مستمر، فليس المكان مجرد مكان هندسي يتواجد فيه البطل أو الشخصية بل أصبح له تأثير في الشخصية من تحريكها في الأحداث ودفعها إلى الفعل،ولهذا تظهر العلاقة القوية التي تجمع بين هذين المكونين الفضاء والشخصية فالإشارة

---

[1]– ينظر فضيلة بولجمر،هندسة الفضاء في رواية الأمير لواسيني الأعرج،ص94.

[2]–المرجع نفسه،ص100.

إلى الفضاء يستلزم الإشارة إلى الحدث،وهذا الحدث تقوم به شخصية معينة ، لذلك لا يعتبر الفضاء كإطار فحسب بل عنصر حكائي رئيسي في المادة الحكائية.[1]

فالإشارة إلى الحدث تستلزم الإشارة إلى الشخصية والعكس صحيح وكل منهما يكمل الآخر.

[1]–ينظر ،أحلام معمري ،بنية الخطاب السردي في رواية فوضى الحواس ،لأحلام مستغانمي ،رسالة ماجيستير ،2004،ص92.

الملحق.

تدور أحداث الرواية حول عائلة جزائرية تقيم في قلب مدينة الجزائر ، في ظروف يغلب عليها الخوف والذعر واللااستقرار(الحرب الأهلية)،حيث كان التركيز في هذه الرواية على" ياما " الشخصية البطلة التي كانت محور الأحداث الفاعلة والمتفاعلة معها،التي عاشت حياتها مع النكسات المتواصلة وفي كل يوم ينكسر غصن تشبثت به طويلا حتى باتت الجذع الوحيد في العائلة ،بعد وفاة الأب ثم الأم ودخول أخيها السجن وأخيرا سفر أختها التوأم البلاد بلا عودة، فهرعت إلى متنفسها الوحيد والذي أرادت من خلاله أن تتجاوز وحدتها وهو "الفايسبوك" المملكة الزرقاء عالم افتراضي تماما ، وتعلقت بشخص افتراضي اكتشفت في الأخير أن ما عاشته في هذا العالم كان مبني على الكذب والخداع.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

أوّلا:المصادر:

-ابن منظور،لسان العرب، مادة حوز، ط2، صادر للطباعة و النّشر،بيروت، 2004.

-واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، ط1، دار الصدى للصّحافة و النّشرو التوزيع، يونيو، 2013.

ثانيا:المراجع:

1-العربية:

-حسن بحراوي، بنية الشّكل الرّوائي(الفضاء،الزّمن،الشّخصية)، ط2 المركزالثّقافي العربي،بيروت 2009.

-حميد لحميداني، بنية النّص السردي من منظور النّقد الأدبي، ط3، المركزالثقافي العربي،بيروت 2000.

-حيدر لازم مطلك، الزّمان و المكان في شعر أبي الطّيب المتنبي، ط1، دار الصّفاء للنّشر والتوزيع عمّان،2010.

-صلاح صالح، قضايا المكان الرّوائي في الأدب المعاصر،ط1، دار الشّرقيات للنّشر و التوزيع،القاهرة 1997.

-عبد الحكيم الذّنوب، آفاق غرناطة، ط1، دار المعرفة نشرو توزيع و طباعة، 1988.

-عبد الملك مرتاض، في نظرية الرّواية بحث في تقنيات السّرد، دط، دار العرب للنّشر، بغداد،1998.

-فتحية كحلوش، بلاغة المكان قراءة مكانية في النّص الشّعري، ط1، مؤسسة الانتشار العربي،بيروت، 2008.

2-المترجمة:

-غاستون باشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا، ط1، وزارة الثقافة و الإعلام،بغداد،1980.

ثالثا:الرّسائل الجامعية:

-أحلام معمري، بنية الخطاب السردي في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي، رسالة ماجستير، 2004.

- سعدية بن يحي، جماليات المكان قي رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008.

-فضيلة بو لجمر، هندسة الفضاء، في رواية الأمير لواسيني الأعرج، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2010.

-فضيلة عرجون، البنية السردية، في رواية قصيد في التذلل لطاهر وطار، رسالة ماستر، جامعة قسنطينة، 2011.

-ليندة لكحل، بناء الشخصية و المكان في رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي، رسالة ماستر، جامعة منتوري قسنطينة،2011.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....أ

الفصل الأول: إشكالية مصطلح الفضاء ومعالم تشكله

أولا:تعريف الفضاء.....7

1-لغة.....7

2-اصطلاحا.....8

تعريف المكان.....10

1-لغة.....10

2-اصطلاحا.....11

تعريف الحيز.....12

1-لغة.....12

2-اصطلاحا.....13

ثانيا: الفرق بين المكان والفضاء.....14

ثالثا: علاقة المكان بالفضاء.....16

رابعا: أنواع الفضاء.....18

1-الفضاء كمعادل للمكان.....18

2-الفضاء النصي.....19

3-الفضاء الدلالي.....20

4-الفضاء كمنظور أو كرؤية.....21

الفصل الثاني: تشكلات الفضاء في الرواية

طبيعة الفضاء.....24

أولا: فضاءات ذات مرجعية حقيقية.....24

ثانيا: فضاءات ذات مرجعية تخيلية.....26

أنواع الفضاء.....35

أولا: الفضاء المفتوح.....35

ثانيا: الفضاء المغلق.....37

ثالثا: علاقة الشخصية بالفضاء.....40

خاتمة.....44

ملحق.....46

قائمة المصادر والمراجع.....48